ر. د.م.د: ISSN 2437-0819-رقم الإيداع القانوني:2014-6068

الأبعاد الثقافية لشعرية العتبات النصية في نص نسيان com لأحلام مستغانمي

أ. نوال قرين

المركز الجامعي"عبد الله مرسلي" تيبازة

تاريخ الإرسال: 2018/02/12 **تاريخ القبول: 2018/05/22**

الملخص:

العتبات النصية أو النصوص الموازية عادة ما تكون مشحونة أدبيا ومركزة/مكثفة بطريقة شعرية مميزة، لأنها تختصر في عبارات قصيرة، و هذا ما يلح عليها في التسلح شعريا أكثر، و لكن أن توجد هذه العتبات في الرواية و تجعلها شعرية بامتياز، حتى تضاف إلى الرواية فتصبح تنم عن "شعرية الرواية"، تجعلنا نتساءل ملحين: هل هذه الشعرية في الرواية مقصودة في ذاتها أم أنها تروم أشياء أخرى؟

و كمحاولة للإجابة عن هذا السؤال –في مقالتنا هذه- حاولنا البحث عن الأبعاد الثقافية لشعرية العتبات النصية في نص " نسيان Com " لأحلام مستغانمي، و قبل ذلك ما هي العتبات النصية عموما؟ و ما نوع العتبات النصية التي احتواها هذا النص؟ و كيف جاءت هذه العتبات؟

و إذا افترضنا أن هذه العتبات كانت محاطة و محيطة بمجموعة من الأنساق المضمرة، و من ثمة كان السؤال المطروح : هل استطاعت عتبات نص " نسيان Com " تمرير أنساقها ؟ و ما هي هذه الأنساق التي مررتها ؟ و كيف فعلت ذلك؟

Abstrat:

Usually, the textuel sills or the paralleled texts are literarily charged and intensive by specific way because they areabbreviated in short phrases, and this insists on the arming poetieally. But ; if these sills are existed in the novel and make it poetical in superbly till these sills will be addedto the novel and will be expressive on « the novel's poeticalness » we wil wonder pressingly if this poeticalness in the novel is intended by its selfor intentioned other things ?

As a trying to answer this question – in this essay- we tried to research the culturel dimensios of the textual sills poeticalness in the text of « Nessien Com » which was written by « Ahlem Mosteghanemi », before that ; what are

the textuel sills ? what is the kind of the textuel sills which this text contoined ? and how these sills were formed ?

If we suppose that these sills were surrounded and contoured by a set of systems from that the question will beM could the sills of the text « Nessien Com » transmit their systems ? and what are these systems which these sills liberated ?

مدخل:

تندرج العتبات النصية ضمن ما يعرف بالنص الموازي، الذي يعتبر النوع الثاني من أنواع النصوص بعد النص الرئيسي، وتعتبر أول ما يصادف القارئ باعتبارها مداخل.

وينقسم النص الموازي بدوره إلى قسمين هما النص المحيط (الماحول) (Peritexte) والنص الفوقي (البعدي) (Epitexte) حسب المخطط التالي(1):

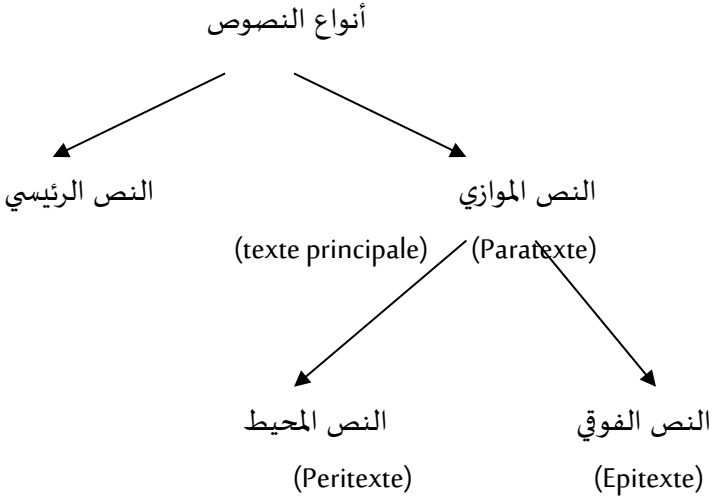

وتختلف مكونات قسمي النص الموازي، وتتباين بنياتها و تشكلاتها ومواقعها وأزمنة إنتاجها وسياقاتها، إلا أنهما يلتقيان في كونهما يمثلان جملة من العناصر التي تسيج النص وتعين حدوده وموقعه، وتبرمج لدى القارئ نوعية القراءة المناسبة له(2).

وتحدد مكونات النص المحيط بكونها تشتمل على اسم المؤلف "والعنوان و العنوان الفرعي والعناوين المشتركة" (3) والأيقونة والناشر والإهداء وكلمات الشكر والمقتبسات والمقدمة والفهرس، ويمكن تقسيم هذه العناصر بدورها إلى نوعين:

"عتبات ثابتة؛ وهي التي تتعالق مع كل نص ولا يمكن الاستغناء عنها (...) ويندرج ضمنها اسم المؤلف والعنوان ...

وعتبات متغيرة؛ وهي التي يستغنى عنها"(4) حسب الموضوع أو ذوق الكاتب والناشر، من مثل الأيقونة والإهداء، ... في حين أن مكونات النص البعدي تتحدد على أنها "حوارات المؤلف ومذكراته ورسائله وكل الخطابات الشفوية أو المكتوبة التي يتناول فيها أحد أعماله ويعلق عليها"(5). إن هذه الحواف النصية بنوعيها الأول (النص المحيط (Peritexte)) لنجدها حاضرة بقوة من خلال نص أحلام مستغانمي "نسيان Com"، خاصة وأن النص يتعالى عن التجنيس (باعتباره ينتمي إلى أدب اللا-نوع).

قراءة في عتبات نص "نسيان Com":

عادة ما يرتبط النص الموازي بالدراسة الشعرية التي ينطلق منها النقد الثقافي لإبراز المضمر النسقي، باعتبار العيوب النسقية/الأنساق الثقافية تأخذ الجمالي غطاء تختفي تحته وتلتف به، ولهذا سنحاول من خلال هذه الدراسة التطبيقية إبراز النسق من خلال الجمالي في مكونات النص المحيط.

1- عتبة النص الأولى:

العنوان والغلاف

إن أول ما يطالعنا في الكتاب بعد لونه الأسود، هو الختم باللون الأحمر "يحظر بيعه إلى الرجال"، إنها الطريقة الدعائية الأقرب إلى جمهورية الرجال؛ لأن الممنوع دائما مرغوب، والمرغوب دائما ممنوع، هكذا صاغها نزار:

"أنا ممنوع في كل مكان، فأنا مقروء في كل مكان".

إنها الجملة النسقية الأولى على غلاف الكتاب:

يحظر بيعه للرجال ⟵ مكتوبة باللون الأحمر

أنا ممنوع في كل مكان، - المنع ⟵ هو النسق الظاهر

فأنا مقروء في كل مكان. – الإغراء/ لفت الانتباه ⟵ النسق المضمر

- الكتاب موجه للنساء ⟵ أول ما يطالعك هو كلام للرجال بلغة رجل.

- موضوع الكتاب هو البحث عن الرجل (أيها "الرجال الرجال" سنصلي لله طويلا كي يملأ بفصيلتكم مجددا هذا العالم ...)(6)
- الكتاب موجه للرجال وليس للنساء.

ثم إن الربط بين الصيغة التي جاء بها الخطاب عند (نزار قباني) وعند (أحلام مستغانمي) يبرز شيئا من اختلاف الوسيط الذي يتم به الترويج للمنتوج:

- أنا ممنوع في كل مكان، فأنا مقروء في كل مكان.
- يمنع بيعه للرجال.

- لقد ولى عهد الكتاب المقروء، يوم كانت نسبة المقروئية هي التي تحدد نسبة نجاح الكاتب والكتاب، أصبحت اليوم نسبة النسخ المباعة هي التي تحدد هذه النسبة، والنجومية مقترنة بطوابير الواقفين ينتظرون دورهم للحصول على نسخة من الكتاب.

الكلام المقارن به لنزار قباني، إنه شاعر الأنوثة، أكثر منه شاعر المرأة. إنه الذي قال يوما عن كتابات أحلام مستغانمي (في تصدير ذاكرة الجسد) "إنها تشبهني" !

- نزار ذكر ⟵ يبحث عن المرأة
- أحلام أنثى ⟵ تبحث عن الرجال/ الرجل.

إن مستغانمي تفتش عن الرجال، وتستفزهم بطريقة المنع هذه، ولهذا يرد الرجل على هذا المنع بقراءة الكتاب، ويتهمه بأنه كتاب خطير وشرير ومذكر وناسي، أقل أوصافه هذه هي؛ إنه كتاب "ليس جديرا بأن يكون في يد امرأة عاشقة، ورجل تعود أن تصحبه الوردات والياسمين وقطوف نزار قباني إلى معشوقه" (7).

هل يعني هذا أن مستغانمي نجحت في الترويج لكتابها "المحظور" .... هل أقلق بالفعل هذا الكتاب الرجال الرجال ...؟!

2- اللون الأسود / سربلة الغلاف:

بعد الختم الأحمر، أو لنقل قبل اللون الأحمر، يبرز لون الغلاف الأسود، مستغانمي التي لم تجعل قبل عملها هذا لون الغلاف داكنا، جعلته هذه المرة أسود داكن، وهي التي

جعلت بطلتها في "عابر سرير" تتلحف بملاية أمها السوداء كي تقابل عشيقها، وجعلت لون الملاية هي لون الغلاف لون الإغراء عندها، فبطلة روايتها بالفستان الأسود.

ومن بعد هذا، ما علاقته بال كتاب (الرواية) التي هي تحت "الكتابة" "الأسود يليق بك"، هل الأسود مجرد نسق ترويجي دعائي لكتابها القادم...؟

الأسود؛ لطالما ارتبط هذا اللون بالمرأة، من ناحيتين:

- الأولى: لباسها؛ فدائما كان لون الأناقة، يقول الشاعر:

قل للجميلة بالخمار الأسود ماذا فعلت بالناسك المتعبد

ومن ثم ارتبط الأسود بجمال المرأة ⟵ بجسدها.

- الثانية: بروحها/ النظرة الفكرية إليها.

كتبت كاتبة سعودية متمردة –كما وصفت- مقالا أقام الدنيا ولم يقعدها في المملكة السعودية، تحت عنوان "أبيض وأسود":

الأبيض هو الرجل في جبته.

الأسود هي المرأة في جلبابها.

طالبت هذه الكاتبة في مقالها بحقوق المرأة بداية من بطاقة تعريفها، فجنسيتها التي تفقدها إذا ما تزوجت من غير ابن بلدها، وصولا إلى قيادتها السيارة، وكأننا بها تتحدث عن المرأة في زمان غير زماننا، يوم كانت توأد حين تولد، ثم عقد مؤتمر عالمي لتحديد جنس المرأة (بطاقة هوية: هل هي إنسان أم حيوان؟!). واستمر هذا الوأد وتطور من الوأد الجسدي إلى الوأد الفكري، وها هي المرأة ترفض لقيادة الأمم، مثل (هيلاري كلينتون) التي رفضت لقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

فالنسق هنا شبيه بنسق النساء قبل شهرزاد (قتلهن)، وأن كان نسق كلينتون هي شهرزاد التي اختيرت للحكي (باعتبار هيلاري أصبحت وزيرة للخارجية).

لنبقى مع الأسود: ⟵

- إنه لباس الحزن والحداد، يقال إن الميت في عصور غابرة كان يكفن بالأسود، ومن ثم أصبح هذا اللون لباس الأحياء حزنا على ميتهم، إنه لون اللباس الذي يتلقون به التعازي على ميتهم.

- الشيعة منذ حوالي أربعة عشر قرنا، وهم يلبسون الأسود حزنا على سبط رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وتقام كل سنة حسينية حزنا عليه وندما منهم لخذلانه.

ما علاقة دلالات الأسود هذه بنسيان مستغانمي؟

إن الكاتبة/الأنثى لا المرأة، تبحث عن الرجل لا الذكر، إنها تبحث عن الرجولة في صورتها الشامخة، الرجولة المثالية؛ ولكنها في غضون بحثها هذا عن الرجولة تلك –من خلال قصص صديقاتها- لا تجد إلا ذكورا، لذلك فهي غاضبة من الذكورة وغاضبة على ضياع الرجولة.

لقد خذلت المرأة، خذلها الرجال/الرجولة، التي فقدت منذ فترة طويلة، قد نستطيع تحديد أن الرجولة في عصرنا الراهن بداية من النكسة، منذ نكسة عام 1948م، والرجولة العربية في ضياع ما بعده ضياع، فضياع ...

المرأة العربية منذ ذلك الزمن وهي ثكلى، تتلحف الأسود رداءً للحزن والخذلان ورمزا لحدادها على ضياع الرجولة ونسيانها، لقد دست التراب ونسيت، وها هي المرأة اليوم بكتابها الأسود/ النسيان تتلقى التعازي في نكبة الرجولة.

3- الأيقونة/ زهرة النسيان:

لقد حدد شارل ساندرس بيرس (Peurce) الأيقونة بوصفها "دليلا يحيل إلى الموضوع الذي لا يدل عليه إلا بمقتضى الخصائص التي يملكها ..." والصفة الدليلية للأيقونة القائمة على التشابه أساسا، تلزمها بأن تنتج فكرة مؤولة" (8)، فالأيقونة إذن لا تكون لمجرد التزيين أو بدافع الزخرفة أو حتى ملأ الفراغ، وإنما تحمل دلالة يتم تأويلها، وتتكامل مع باقي العتبات الأخرى في الكتاب، وهذا ما يدفعنا للتساؤل عن علاقة التشابه بين النسيان في كتابه الأنثوي الأسود، وبين الأيقون على الكتاب، كيف تتجلى؟

الزهرة البرتقالية ذات الغصن المائل ← زهرة النسيان، ثم كيف يتكامل الأيقون باعتباره عتبة النص مع باقي العتبات الأخرى وأولها الختم بالأحمر: "يحظر بيعه للرجال"؟

إن ملمس الزهرة البرتقالية / زهرة النسيان (الأيقون) لأقرب للنحت منه للرسم، علها تكمل منظر الخمار الأسود الذي يغطي رأس الحسناء/ الجميلة التي تنتظر ذلك الرجل

الضائع، فهل يكون الغلاف خمارا يغطي محاسن الكتاب؟ أم أن الزهرة إمعان في تأنيث الكتاب.

لنستعر رمز الذكورة والأنوثة من العلوم الطبيعية:

الذكر: ♀

الأنثى: ♂

إن مستغانمي تحظر الكتاب على الرجال مرة أخرى، ولكنها تستعمل هذه المرة أيقونا ليعبر بدلا عنها، لقد ختمت كتابها ختمين:

- يحظر بيعه للرجال ⟵ باللون الأحمر ⟵ المنع كنسق ظاهر
- الزهرة البرتقالية ⟵ رمز الأنثى ⟵ الإغراء والترويج كنسق مضمر

لعل الكاتبة بهذا تجند كل ما على ظهر كتابها لتمنعه عن الرجال ⟵ لتغري به الرجال؛ لأنها تعتقد جازمة أن الكثير الكثير من الرجال سوف يقرؤونه (تسويق الكتاب)، وفعلا صدقت في اعتقادها، فيعترف أحد قرائه من الرجال قائلا: "أعترف أنني قرأت هذا الكتاب أخيرا مرغما" (9) وهو يقصد الكتاب الأنثوي الأسود: "نسيان Com".

4- العنوان الرئيسي:

يمثل العنوان عند الدارسين سلطة النص وواجهته الإعلامية، كما أنه يمثل جزءً دالا من النص يؤشر على معنى ما. ويحمل العنوان بداخله بنية عميقة مستقاة من الواقع الثقافي والاجتماعي الذي جاء منه، وتقوم العلاقة بين العنوان والنص على التضمن المتبادل(10)؛ إذ يتضمن العنوان النص ويتضمن النص العنوان. وفي إطار هذه العلاقة يبدو النص المكتوب (الذي هو هنا الكتاب باعتباره نصا فوق التجنيس) "جوابا ارتدى قماط قصة مشابهة للواقع، عن الأسئلة الطافحة في جملة العنوان(...)، إذ إن الأخير (العنوان) جزء من كل، ويسمح التحدث به باستحضار هذا الكل "(11).

إن عنوان الكتاب قيد الدراسة يمكن النظر إليه من وجهتين:

- أنه مكون من كلمة واحدة إذا أخذ بمعناه –نسيان كوم- ⟵نسيانكم
- أنه مكون من كلمة ولاحقة من حيث بنية التركيبة ⟵ كلمة عربية: نسيان

ولاحقة أجنبية: Com

هذا العنوان مزدوج الوجه يؤدي إلى قراءات متعددة، انطلاقا من كون العنوان –ومن ثمة العناوين الفرعية- هو النسق الأكثر بروزا/ الأكثر إضمارا في النص.

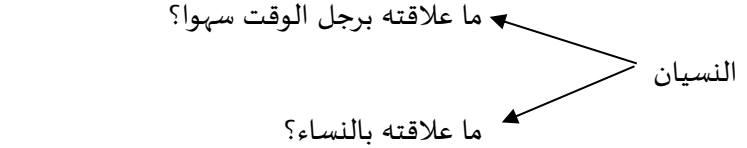

الكتاب كما قد يبدو لقارئه، مجموعة من النصائح الأنثوية، توجهها أنثى لأخرى بقصد الوقاية من الصدمات العاطفية التي تخلفها الحوادث الذكورية ← الرجل يأتي المرأة في لحظة سهو منها ... ثم ينساها، أليس "هو، رجل الوقت ليلا، يأتي في ساعة متأخرة من الذكرى، يباغتها بين نسيان وآخر(12).

أليس "هو رجل الوقت سهوا ...؟" (13)

المطلوب الآن من المرأة أن تباغت الرجل بين نسيان وآخر ... بعدما تنساه ...

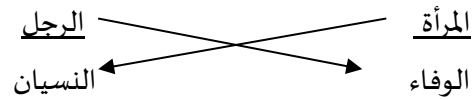

قد يؤدي نسيان المرأة الرجل، إلى وفاء الرجل للمرأة، إنها محاولة لتبادل الأدوار (محاولة لتغيير الأنساق)

- لماذا تختار مستغانمي النسيان للتخلص من الحب، لماذا لم تختر الكره، وبين الحب والكره شعرة؟

إن الكاتبة تريد التخلص من حب الذكر لا الرجل، لذلك تعنون إحدى نصائحها بعبارة "إنه التستوسترون يا عزيزي!"، إنها تريد تخليص الرجولة من سيطرة الذكورة، لعلها تبحث عن الرجولة العربية التي انتكست هي الأخرى في زمن الخيبات.

تحت قاعدة "الممنوع مرغوب والمرغوب ممنوع" ← إذا أصبح النسيان للمرأة تصبح مرغوبة.

وبهذا (ومن خلال ما أدرج من قصص داخل متن الكتاب، خاصة قصة كاميليا) فإن النسق الظاهر هو (النسيان)، لكن النسق المضمر هو الوفاء:

- وفاء المرأة (وفاء كاميليا لصديقها)

- وفاء الرجل (وفاء صديق كاميليا لها (لأنه رجع إليها بعدما اختفى))

- صديق كاميليا ⟵ غيابه ⟵ بحث عن الرجولة: عودته/ وفاؤه ⟸ عودة الرجولة العثور على الرجولة

- النسيان إذن أكبر الخيانات ⟵ نسيان واقعنا العربي هو أكبر خيانة للتاريخ ⟵ ولأننا لا زلنا نطبق القواعد "العاطفية" لم نخرج بعد من كبوتنا.

ولأن النسيان دائما هو أكبر الخيانات؛ مستغانمي بمعية جاهدة وهبة تكتب عن "اللانسيان"، ربما تستلهم أغنية فيروز تقول فيها:

"بقولوا في كتب الهوى، يلي يحب ما بينسى"

أحد الأنساق الظاهرة منذ العنوان الرئيسي أيضا هو سيطرة ثقافة الميديا على العصر، فالعنوان من حيث صيغته البنائية: نسيان Com، يحاول جلب اهتمام القارئ، إضافة إلى أنه يعتبر أهم وسيلة دعائية/تسويقية للكتاب- وإن كان في هذا الكتاب بالذات ليس له الأهمية نفسها بالنسبة للكتب الأخرى لأن اسم المؤلف هنا هو الذي أدى الوظيفة التسويقية-

وإن كان الهدف من استخدام اللاحقة Com هو فقط تسويقي، لماذا لم تستخدم الكاتبة نسيان net أو نسيان org، والأخير هو الأصلح باعتبارها تعلن عن تأسيس حزب للنسيان، وعادة ما تستخدم org اللاحقة للدلالة على مواقع المنظمات أو الهيئات.

لقد استخدمت الكاتبة اللاحقة Com، وهي كلمة انجليزية تعني تجاري(14)من commercial إنها تتاجر بنسيانها، ولعلها الوسيلة الأكثر تحقيقا للانتشار والرواج الورقي –بعد الإلكتروني- للكتاب، فبعد أن جاهرت أحلام في أحد الفصول الأخيرة أن من المفروض عليها أن تجمع أربعين ألف توقيع نسائي عبر هذا الكتاب، "ما يعني أن طبعته الأولى بلغت أربعين ألفا، وهذا رقم كان يستحيل على نجيب محفوظ (قبل وبعد تحصيله جائزة نوبل) ونزار قباني أن يحلما به"(15).

وبهذا تكون مستغانمي قد أخرجت الكتاب من عصر الأدب الكلاسيكي إلى عصر النجوم والمشاهير و"ليبلز"، وصارت تشكل ظاهرة في الأدب أشبه بظاهرة هيفاء وهبي أو نانسي

عجرم في الغناء، حتى أنه صار نقاد الأدب اليوم يتحدثون عن ظاهرة في الأدب اسمها أحلام مستغانمي"(16).

ويعود هذا الانتشار الواسع لمستغانمي لعزفها على وتر "الجماهيرية"، فلقد أكدت في أكثر من مناسبة أنها لا تكتب للنخبة، لكنها تكتب للطبقة المهمشة والبسطاء من الناس، إن تركيز أحلام على "الجماهيرية" في كتاباتها هو ما يسهل عليها إضمار الأنساق، وها هي توظف النسق التجاري تحت غطاء مواكبة العصر:

عصر العولمة ⟵ عصر المعلوماتية/السوبرناتية (Com).

5- العناوين الفرعية:

بعد العنوان الرئيسي للكتاب، والذي يمثل كما سبق وأشرنا الواجهة الإعلامية للنص، يأتي الدور على العناوين الفرعية لنسلط الضوء عليها –في حركة تشبه إلى حد ما تركيز الضوء على نقطة معينة في المسرح-

هذه العناوين الفرعية تتناسل دلاليا من العنوان الرئيسي نسيان com وتتوزع بين عناوين لفصول من هذا الكتاب، وعناوين لنصائح تندرج تحت هذه الفصول التي تقارب تسعة فصول، مع فصل أخير يبدو تابعا للفصل السابق له وخاتمة للكتاب.

في الفصل الأول من الكتاب المعنون بـ: "هكذا تورطت في هذا الكتاب"، تقدم مستغانمي مبررات لاتجاهها لهذا النوع من الكتابة، وكأنها تريد الرد مسبقا على من يتعرض لها وله (الكتاب) بالنقد، هي التي تدعي الاستجابة لرغبة "مجنونة"، وطلب لا يمكن رده من صديقاتها، وإمعانا في تبريرها هذا تضع ما يشبه "الخطة" التي تسير وفقها للوصول إلى الهدف/النسيان.

أولها: الكاتب مرشدا عاطفيا(17):

إنها بداية ممارسة السلطة على القارئ: سلطة الكاتب على القارئ

⟸ سلطة الحاكم على الرعية

هي تطلب هذه السلطة علنا، تطلب أن تفوض لتكون سلطتها شرعية: دعوني أحاول؛ ربما استطعت قلب صفحتكم هذه. ذلك أنه من السهل قلب صفحة الآخرين(18). إن قلب هذه الصفحة لا يتم هكذا عبثا من طرف صاحب السلطة/المفوض (الكاتبة)، بل إن

الكاتبة تضع "برنامجها" المستوحى من الواقع العاطفي للقارئ، على عكس ذلك القارئ يدخل "بأحلام شاهقة أكبر من أصحابها"(19).

إن هذا القارئ فعلا يحتاج إلى من يدخله الحب بأحلام من واقعه.

- لعل النسق الذي يبرز كلما أوغلنا في هذا الفصل هو نسق السلطة، إن الكاتب يشبه الحاكم العربي، يبدأ حملته الأولى للحكم بمخطط وبرنامج يذهل الناس ويغريهم، ثم عندما يعتلي الكرسي يقول أن أحلام الناس بالغة عنان السماء، وما برنامجه الذي سطره في حملته الانتخابية إلا صدى لتلك الأحلام وهو يعيش مع الناس، والواقع مختلف وهو يحاول تطبيق البرنامج، ومع هذا فالبرنامج/المخطط سيكون له وجود فعلي ولا يحتاج هذا الحاكم سوى للوقت والمساحة الأوسع.

الكاتب المتسلط ⟵ الحاكم المتسلط

القارئ الراضي ⟵ المحكوم المسيَّر (غير المخيَّر)

- ثم في خطوة غير متوقعة البتة، يعلن المرشد العاطفي، في بداية تنفيذ مخططه: "ليشهد الأدب أني بلغت"(20)، تماما كما الحاكم العربي، الذي يبحث عن الخلود بمجرد عرضه لمشروعه/مخططه، ألا يحق له المجد لأنه طرح فكرة ...؟!

إن أسلوب الأمر هذا يمتد من أول جملة في الكتاب –وهي الجملة النسقية التي تتفرع منها الجمل النسقية الأخرى-:

"أحبيه كما لم تحب امرأة

وانسيه كما ينسى الرجال"(21)

6- الـ CD المرفق لجاهدة وهبة:

لعل أول سؤال يطرح: لماذا هذا الارتباط بين جاهدة وهبة في فكرة وجود الكتاب وبين أن تؤدي المرأة نفسها أغان لقصائده؟

- هل الارتباط بين الكتاب الأدبي الورقي وبين الـ CD الموسيقي الغنائي هو اندراج –تأكيد لهذا الاندراج- لكليهما في الفن؛ بمعنى هل هو تأكيد لاحتواء الفن على الكلمة المكتوبة والمنطوقة؟ هل هو نوع من رد الأمور إلى أصلها؟ أم هل الأمر لا يخرج عن كونه نمطا

جديدا من "الديو" أو "الثنائية" الفنية التي اعتدنا مشاهدتها في الأغاني المشتركة والبطولات السنمائية المشتركة؟

- لنأخذ الأمر على أنه "ديو" فني بين كاتبة ومطربة، كلتاهما تنتمي إلى حزب النسيان، السهل الانخراط ضمنه، فقط ثبت الموقع www.nissyane.com واضغط على زر الفأرة الأيسر.

- لقد كانت الموسيقى قديما مرتبطة بتأدية وظائف سحرية، كما اعتبرت –في الحضارات القديمة- وسيلة للعلاج(22).

مستغانمي تحاول أن تقوم بوظيفة سحرية من خلال معالجة المرأة العربية من أدوائها العاطفية بواسطة "مرهم" أو "أقراص" تحت اسم "نسيان Com"، هي التي طالبت الرجال أن يكون للنساء نفس القدر من النسيان معهم. أو ليست هي التي وجدت روايتها تباع في صيدلية، ها هي هذه المرة تكتب كتابا موجها أصلا للصيدليات، تستعين فيه بكل الوسائل "الطبية".

وجاهدة وهبة من جهتها لم تقصر في أن تعضد عمل صديقتها وتشد أزره فتغني قصائدها طربا:

الطرب: فقدان الوعي.

النسيان: ترك الشيء والابتعاد عنه (حسب المعجم) وهنا لدينا هو ترك الفكرة أو الحدث وفقدانه والابتعاد عنه.

النسيان عادة يتم بطريقة غير واعية/فقدان الوعي

ولأن النسيان هنا يعتبر له نية مبيتة، فالطرب يعتبر كأداة مساعدة لاضفاء الشرعية على النسيان.

7- المقتبسة:

إن ما يسمى ضمن العتبات النصية بالمقتبسة والتي تحدد بكونها «شاهد يوضع في مستهل عمل أو فصل للإشارة إلى روح هذا العمل أو الفصل ..."(23) والتي اعتبرها (جيرار جينيت G. Genette) بمثابة حركة صامتة Gest-muet لا تدرك إلا من خلال تأويل القارئ، وهي تعتبر في النقد الثقافي جملة ثقافية تنتظم ضمنها مجموعة من الأنساق المضمرة،

يؤكد هذا الاعتبار الأهمية الجمالية(24) لها، والاهتمام المتزايد بها، ونعلم أن الأنساق تختفي تحت رداء الجمالي.

بالنسبة للنص الذي بين أيدينا، "نسيان Com"، الجملة الثقافية/المقتبسة فيه هي مقولة مستغانمي التي كانت شرارة انطلاق كتابة النص:

"أحبيه كما لم تحب امرأة،

وانسيه كما ينسى الرجال"

لقد جاءت هذه الجملة على شكل نصيحة وجهتها أحلام لصديقتها، والنصيحة تقتضي ناصحا ومنصوحا له كما يلي:

الناصح - المنصوح له: في نفس الدرجة ⟸ الاختيار بين التنفيذ وعدمه

الآمر - المأمور: في درجة واحدة ⟸ كما تقتضيه اللغة العربية

(أحبيه، انسيه) ⟵ أمر ⟵ الجملة ككل: نصيحة

- صيغة الأمر هي نفسها في طرفي الجملة.

- يبقى التقابل قائما بين: الفاعل/ المأمورة: المرأة

المفعول به/ المتآمر عليه: الرجل.

إذن:

فالجملة التي اتخذت صفة الشعرية، وجعلت لها الحب والنسيان كطرفي نقيض تظهر أن طرفي نقيضها هما: الرجل-المرأة، أولنأخذ بترتيب المؤلفة الذي لم يأت عبثا: المرأة-الرجل (في الجملة النسقية السابقة).

لقد مثلت المرأة دائما نسق الضعف والانهزام لذلك جاءت مرتبطة بالحب (أحبيه كما لم تحب امرأة)، أما الرجل فقد ارتبط بسلطان القوة والتحكم، لذا جاء ربطه بالنسيان الذي هو فعل ذهني (عقلي) (وانسيه كما ينسى الرجال).

ونظرا لهذا النسق الذي تمثله المرأة، تم قرنها بالشعوب العربية، ذلك أن المرأة حسب مستغانمي: "كما الشعوب العربية، تتآمر على قضيتها"(25)، وعندها يكون وبالضرورة الرجل هو الحاكم (ولي قلب المرأة).

فلكي يكون هناك حاكم لا بد من محكوم، ومن ثم فالمرأة في ترتيبها سابقة على الرجل، لأنها تمثل المحكوم وهو الحاكم.

8- خطاب المقدمة:

يتخذ خطاب المقدمة لتأدية وظائف متعددة، وتختلف المقدمة من كتاب لآخر ومن عمل إبداعي لعمل نقدي، وتتراوح الوظائف التي تؤديها بين ضمان قراءة جيدة للنص من خلال توجيه القارئ واختياره (قارئ عام، قارئ متخصص)، وبين البوح بالقصد من الكتاب وكذا "التنبيه والإخبار: إذ تنبئ القارئ وتخبره بطبيعة الكتاب وظروف تحريره ومراحل تكوينه"(26).

ولعل المقدمة التي وضعتها مستغانمي لكتابها "نسيان Com" لا تخرج فيما قد يظهر عن تأدية الوظيفة الأخيرة، فقد عنونتها "هكذا تورطت في هذا الكتاب"(27)تشرح فيها سبب كتابتها إياه: قائلة:

"حين قلت لصديقتي تلك "أحبيه كما لم تحب امرأة، وانسيه كما ينسى الرجال!" صاحت: يالله ... اكتبيها!"(28).

إن هذه المقدمة جاءت فيما يبدو للإخبار عن حيثيات الكتاب، لم تدخر جهدا في أداء وظائف أخرى، أولها الوظيفة التسويقية، أو ما يمكن اعتباره نسقا بارزا في هذا الكتاب الذي تدعي صاحبته وهي تخاطب القارئات: "لا أطمع في غير دعواتكن لي بالخير، ولاحقا بالرحمة ..."(29) ، إن الدعاء لها لن يتم إلا بعد إطلاعهن على الكتاب، وها هي تذكي الحماس فيهم لأجل الإطلاع عليه/اقتنائه: "أجزم أنني سأكون أول من يهجم عليه حال صدوره"(30).

يبرز أنها تقدم كتابها "بحماس" يخدم عملية تسويق الكتاب الذي يمثل دليلا نسائيا للنسيان جاء تحت طلب ملح لصديقاتها. إنه نموذج للكتابة تحت الطلب الذي يحقق الانتشار النسقي للمدونة الإبداعية ⟵نسق الكتابة الجماهيرية خدمة لثقافة العرض والطلب ⟵ الاستهلاك.

خاتمة:

بعد هذه الجولة في عتبات نص "نسيان com " و بين تخومه، نستطيع حصر مجموعة النتائج التالية المتوصل إليها ، حيث:

- يندرج نص "نسيان com" لأحلام مستغانمي ضمن ما يعرف بـ"أدب اللا-نوع" وهو أول نسق كتابي تكسره الكاتبة بعد تعود القارئ العربي على مستغانمي الروائية.
- انطلقت الكاتبة من المبدإ العام "كل ممنوع مرغوب" لتجسّده أدبيا كما رسّخه الشاعر نزار قباني قبلها، و هي التي تمثّلته في كتاباتها، فإذا كان نزار صيّر الشعر العربي المعاصر "سردا"، فإن مستغانمي هي التي جعلت الكتابة العربية "شعرية".
- لقد حشدت الكاتبة مجموعة من الوسائل الأدبية البلاغية الفنية من أجل خلق جمالية نصّها الأدبي، و هذا ما ساعد نصّها على تمرير أنساقه اتكاء على المعطى الجمالي.
- وظف نص "نسيان com" مجموعة معطيات ثقافية خادمة للثقافة الجماهرية/ ثقافة الهامش التي استندت عليها الكاتبة في هذا النّص لتمرير أساقها الجمالية والتسويقية، أبرزها ثقافة الميديا و وسائلها.
- مررت الكاتبة من خلال هذا النّص مجموعة من الأنساق الفكرية و الثقافية والحضارية و الاجتماعية و حتى السياسية؛ و هذا ما يقترح كدراسة لاحقة لدراسة نسقية العتبات النّصية.

الهوامش:

1- وسيلة بوسيس: بين المنظور والمنشور في شعرية الرواية، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط:1، 2009م، ص74.

2- يوسف الإدريسي: عتبات النص، بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، منشورات مقاربات، المملكة المغربية، ط:1، 2008م، ص41.

3- وسيلة بوسيس: بين المنظور والمنشور في شعرية الرواية، ص55.

4- يوسف الإدريسي: عتبات النص ، ص 42.

5- نفسه.

6- أحلام مستغانمي : نسيان Com: دار الآداب، بيروت، لبنان، ط:1، 2009م، ص 11.

7- عبد الوهاب معوشي: الحب في كتابه الأسود، الموقع الإلكتروني: www.djazaranews.info بتاريخ : 2009/10/05م.

8- يوسف الإدريسي: عتبات النص، ص 53.

9- عبده وازن: نصائح أحلام مستغانمي.

10- يوسف الإدريسي: عتبات النص، ص 47.

11- نفسه، ص 48.

12- أحلام مستغانمي: فوضى الحواس، منشورات أحلام مستغانمي، بيروت، لبنان، ط: 12، 2003م، ص 10.

13- نفسه ، ص 10.

14- جريدة الشرق الأوسط، ع: 26يونيو/حزيران 2001م، على الموقع الإلكتروني: www.mafhoum.com

15- عبده وازن: نصائح أحلام مستغانمي،

16- زهية منصر: أحلام مستغانمي تدخل الأدب عصر النجومية فمن يجرأ أن يقول "لا"، جريدة الشروق اليومي، الجزائر، ع: 2670، بلتاريخ: 2009/08/26م

17- أحلام مستغانمي: نسيان Com ، ص 17

18- نفسه، ص 19

19- نفسه، ص 18

20- أحلام مستغانمي: نسيان Com ، ص 27

21- نفسه ، ص 5.

22- جمال مفرج: أتزمة القيم، من مأزق الأخلاقيات إلى جماليات الوجود، منشورات الاختلاف، ط:1، 2009م، ص 68.

23- يوسف الإدريسي: عتبات النص، ص 55.

24- نفسه، ص 56.

25- أحلام مستغانمي: نسيان Com ، ص 14.

26- يوسف الإدريسي: عتبات النص، 62.

27- نفسه ، 58.

28- أحلام مستغانمي: نسيان Com، ص 37.

29- نفسه، ص 40.

30- نفسه، ص 39.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊